الفلسفة والإنسان
هل للفلسفة صلة بحياة الإنسان ومشكلاته؟

د. عبدالرحمن هنداوي [١]

ملخص البحث:

جاء هذا البحث بعنوان: (الفلسفة والإنسان، هل للفلسفة صلة بحياة الإنسان ومشكلاته؟)، وقد قسمت البحث إلى مقدمة وسبعة مباحث وخاتمة، أما المقدمة، فتناولت فيها أهمية البحث، وأسباب اختياره، ومشكلته، ومنهجه، ومخططه، وأما المبحث الأول فعرضت فيه للعلاقة بين الفلسفة والجانب الوجودي، ثم تناولت في المبحث الثاني لتلك العلاقة بين الفلسفة والجانب الفردي في حياة الإنسان، ثم انتقلت في المبحث الثالث إلى مناقشة العلاقة بين الفلسفة والجانب الاجتماعي، ثم بينت في المبحث الرابع العلاقة بين الفلسفة والدين، ثم عرضت في المبحث الخامس للعلاقة بين الفلسفة والعلم والحضارة الإنسانية، ثم تناولت في المبحث السادس العلاقة بين الفلسفة والجانب السياسي، وأخيرًا ختمت البحث بالمبحث السابع الذي بينت فيه العلاقة بين الفلسفة والجانب الاقتصادي، وأما الخاتمة، فأشرت فيها لما انتهيت إليه من نتائج وتوصيات.

الكلمات المفتاحية:

الفلسفة– الفرد– الاجتماع– الدين– العلم– الحضارة الإنسانية– السياسة– الاقتصاد.

Abstract:

This research came under the title: (The Philosophy and the human. Is there is a connection between the Philosophy and human life and it's problems), The research was divided into an introduction, seven topics, and a conclusion. As for the introduction, it dealt with the importance of the research, the reasons for choosing it, its issues, its methodology, and its

[١] مدرس كلية دار العلوم جامعة القاهرة.

plan. As for the first topic, it presented the relationship between philosophy and the existential aspect, and then dealt with in the second topic that relationship between philosophy and the individual aspect in life. Then, in the third topic, I moved on to discussing the relationship between philosophy and the social aspect, then in the fourth topic I showed the relationship between philosophy and religion, then I presented in the fifth topic the relationship between philosophy, science and human civilization, then in the sixth topic I dealt with the relationship between philosophy and the political side, and finally I concluded The research is in the seventh topic, in which I showed the relationship between philosophy and the economic aspect, and as for the conclusion, I indicated in it the results and recommendations I had reached.

The key words:

Philosophy – the individual – sociology – religion – science – human civilization – politics – economics.

المقدمة:

هل للفلسفة علاقة بحياة الإنسان ومشكلاته؟ إنَّ الإجابة عن هذا السؤال يستلزم أن يكون لدينا –ابتداءً– قناعة بجدوى الفلسفة وأهميتها، ورغم معرفتنا بأهمية الفلسفة وفائدتها ومدى اتصالها بحياة الإنسان وواقعه – فإنَّ تلك الحقيقة ليست محل قبول وتسليم من جميع الناس بل من جميع المفكرين والفلاسفة أيضًا، فمن الناس من يرى أن "الفيلسوف رجل سفسطائي ثرثار، أو أنه ملازم لبرجه العاجي بعيدًا عن الواقع العملي الملموس، وإذا أحسنوا به الظنَّ فهو متخصص في المجرد والعام، أو بالأحرى مصاب بالتجريد والتعميم، باحث عن الكل والوحدة والمعنى، حيث لا ظل لها ولا أثر، متَّجِهٌ ببصره وبصيرته إلى (ما فوق) و(ما وراء) وما في الباطن والأعمال؛ حيث لا توجد إلا المدركات الظاهرة والأشياء الكثيرة والموجودات الحسية المتعددة...وقد اتَّهَم أرسطوفان قديمًا سقراط ووضعه في سلَّة معلقة بين الأرض والسماء"[١].

ولكننا من الناحية الأخرى نجد أنَّ هناك من يرى أن الفلسفة تمثل "الطموح الأعلى للإنسان...فهي الحكمة، وأم العلوم"[٢] بل هي طريقة في العيش[٣]، وذلك لأنها لا تعلمنا كيف نفكر فحسب، بل تعلمنا أيضًا كيف نحيا، فهي ليست مجرد معرفة نظرية بل هي فن الحياة، فهي علم وعمل، أو معرفة وحياة، فنحن لا نتفلسف إلا حين نبحث عن معنى الحياة والعالم، وحين نحدد لأنفسنا موضعًا في صميم الكون، قاصدين من وراء ذلك كله أن نعرف على أي وجه ينبغي لنا أن نحيا[٤]، وعلى هذا فإنَّ الفلسفة لها

---

[١] انظر: لم الفلسفة، د/ عبد الغفار مكاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ٢٠١٦م، صـ١٩، ٢٠.

[٢] انظر: ما الفلسفة، د/ عزت قرني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ٢٠١٨م، صـ ٢٦، ٣٢.

[٣] انظر: العيش بالتفلسف (التجربة الفلسفية، الرياضات الروحية وعلاجيات النفس)، جون غرايش، ترجمة: محمد شوقي الزين، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، المغرب، ٢٠١٩م، صـ٢٨.

[٤] مشكلات فلسفية (مشكلة الفلسفة)، د/ زكريا إبراهيم، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت، صـ٤٦.

أهمية كبيرة، وهي ترتبط بالواقع والحياة ارتباطًا وثيقًا، ذَلك لأنَّه إذا كانت الفلسفة هي تأملات العقل الإنساني تجاه شيء ما، فلا شكَّ أنَّ الفيلسوف إنما ينشغل في المقام الأول بمشكلات حياته وحياة أفراد مجتمعه، فيفكر ويتأمل محاولا أن يقدم الإجابات والحلول لكل الأسئلة والمشكلات التي يواجهها.

وهذه الفلسفة لم تنشأ إلا بسبب هذه المشكلات التي يعايشها الفيلسوف في المجتمع، فهي التي خلقت وأبدعت تلك الفلسفة، وألجأته إلى التفكير والإبداع، ولذلك تختلف آراء الفلاسفة وتتباين تباينا كبيرًا تبعًا لطبيعة المشكلة وتأثيرها في المجتمع، واختلاف البيئات والمجتمعات والظروف المحيطة والعوامل المؤثرة التي جعلت الفيلسوف يفكر بطريقة ما دون غيرها من طرق التفكير.

فالصلة بين الفلسفة والحياة لا خلاف عليها بين الفلاسفة، فالمفكرون جميعًا يفهمون الفلسفة على أنها بحث عن معنى الحياة... [١]، ولذا يرى المفكر الفرنسي ألبير كامو حين يقول في كتابه (أسطورة سيزيف): إنه ليس ثمة سوى مشكلة فلسفية واحدة يمكن أن تعد جدية بحق، تلك هي مشكلة الانتحار، ولو استطعنا أن نحكم ما إذا كانت الحياة جديرة بأن تعاش أم لا، فقد أجبنا على المشكلة الرئيسية في الفلسفة[٢].

وإذا كنا نبحث في الصلة بين الفلسفة والإنسان وحياته ومشكلاته فإنَّ بعض الباحثين يرون أن الفلسفة ليست فقط لها علاقة بالإنسان وحياته بل إن الفلسفة هي علم الإنسان، أو علم الروح الإنسانية، بمعنى انها دراسة أنثروبولوجية تشتمل على علوم فلسفية ثلاثة، ألا هي: علم النفس، وعلم المنطق، وعلم الأخلاق، فلا يمكن أن تكون ثمة فلسفة بدون فهم للظواهر النفسية، ولا يمكن أن يقوم تفكير فلسفي دون إلمام بأساليب التفكير وطرائقه، ولا يمكن أن يقوم تفلسف بدون الاهتمام بمشكلات السلوك

---

[١] مشكلات فلسفية (مشكلة الفلسفة)، د/ زكريا إبراهيم، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت، صـ٤٧.

[٢] مشكلات فلسفية (مشكلة الفلسفة)، د/ زكريا إبراهيم، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت، صـ٤٨.

والإرادة والحرية والسعادة[١]، ولا يكفي كما يرى الفيلسوف موريس بلوندل أن تكون الفلسفة إنسانية؛ أي لا يكفي بأن نأتي بالإنسان إلى مدرسة الفيلسوف، بل لابد لنا أيضًا أن نأتي بالفيلسوف إلى مدرسة الإنسان، وما دام على الفيلسوف أن يحيا وينمو باعتباره إنسانًا فإنه لابد لحياته الإنسانية من أن تدخل في صميم فلسفته بوصفها جزءًا لا يتجزَّأ من تلك الفلسفة[٢].

ويشير ول ديورانت تحت عنوان (فلسفة الحياة) إلى أهمية الفلسفة في حياة الإنسان، ويرى أن الناس يميلون إلى جمع المال والثروة ألف مرة أكثر من ميلهم إلى تحصيل الثقافة، مع أن اليقين الذي لا شكَّ فيه هو أنَّ سعادة الإنسان تتوقف على ثقافته أكثر ما تعتمد على ماله وثروته، فالرجل المجرد عن المقدرة العقلية لا يدري كيف يملأ أوقات فراغه، فهو يندفع اندفاع الشره النهم من مكان لآخر بحثًا عن الملذات وإشباع الرغبات وملء الفراغ والحاجات الحسية...إلخ[٣].

والإنسان يواجه في حياته الكثير من المشكلات، وأحيانًا يكون من الصعب عليه أن يجد الحلول المناسبة لها، ذلك لأنه لا يعمل عقله بطريقة جيدة، ولا يستعمل أساليب التفكير المنطقي في مواجهة مشكلاته، وقد لا يكون ذلك غريبًا إذا كان ذلك الإنسان ليس دارسًا للفلسفة، لكنَّ الأمر قد يصبح غريبًا حين يعجز دارس الفلسفة عن حل مشكلاته ومواجهة صعوبات الحياة، ولذا فإنني أرى أن الفلسفة إذا لم تنفع دارس الفلسفة في مواجهة أشد ظروف الحياة قسوة وضراوة، فمعنى ذلك أنَّ دراستها كانت مضيعة للوقت، ذلك لأنَّ الفلسفة وظيفتها أن تعلمنا طرائق التفكير المنطقي الصحيح

---

[١] مشكلات فلسفية (مشكلة الفلسفة)، د/ زكريا إبراهيم، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت، صـ٦٣.

[٢] مشكلات فلسفية (مشكلة الفلسفة)، د/ زكريا إبراهيم، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت، صـ٦٥.

[٣] قصة الفلسفة، ول ديورانت، ترجمة الدكتور: فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، صـ٢٥٨.

لإيجاد الحلول ومواجهة المشكلات، فإذا عجزنا عن الاستفادة منها بطريقة عملية حياتية فبذلك نكون قد ضيَّعنا أوقاتنا في دراستها، حيث تعطلت وظيفتها في نهاية الأمر، وعلينا إذن أن نعيد النظر في طريقة دراستنا للفلسفة، بأن نجعل الهدف من دراستنا نصب أعيننا حين ندرسها، فلا ندرس الفلسفة للتباهي بأننا نعرف تاريخ الفلسفة والفلاسفة ونظرياتهم الفلسفية، وإنما ندرسها للاستفادة منها في حياتنا وواقعنا المُعاش[١]، وهذا برجسون نفسه يقرر أنه إذا لم يكن في استطاعة الفلسفة أن تنبئنا بشيء عن تلك المشكلات الخطيرة التي تثيرها الإنسانية فإنها لا تستحق منا عناء ساعة واحدة نقضيها في التأمل والتفكير[٢].

وصلة الفلسفة بحياة الإنسان تمتد إلى جوانب متعددة، منها: الجانب الوجودي، والفردي، والمجتمعي، بل تشمل الجانب الديني أيضًا، كما أنها تُعدُّ الأساس الذي يعتمد عليه الإنسان في تشكيل ثقافته ووعيه، وبناء حضارته، بل تمتد لتشمل الجوانب السياسية والاقتصادية في المجتمع الإنساني، وهذا ما سوف نوضِّحه في هذه الدراسة إن شاء الله تعالى.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في معالجته لمشكلة العلاقة بين الفلسفة وحياة الإنسان ومشكلاته، وتسليطه الضوء على ما ينبغي أن يكون عليه الوعي الفلسفي من شمولية تتضمن جميع جوانب حياة الإنسان، ووتتداخل مع تفاصيل حياته ومشكلاته، لتساعده على السير قدمًا والتغلب على المعوقات التي تعرقل سيره، كما يحاول أن يلفت النظر إلى أن العلاقة بين الفلسفة والإنسان ليست مجرد مباحث فلسفية يؤلفها الفيلسوف، وإنما هو ارتباط حقيقي يتعلق بالواقع العملي في حياة الإنسان.

---

[١] انظر: التداوي بالفلسفة، سعيد ناشد، دار التنوير للطباعة والنشر، تونس، ط١، ٢٠١٨م، صـ٢٧.

[٢] مشكلات فلسفية (مشكلة الفلسفة)، د/ زكريا إبراهيم، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت، صـ٤٧.

أسباب اختيار البحث:

لعلَّ أهمية هذا البحث كانت دافعًا إلى اختياره، فالإنسان يواجه مشكلات حياتية كثيرة ولا يجد لها حلا، لذلك كان لابد من اللجوء إلى الوعي الفلسفي، والتفكير العقلي الذي يساعد الإنسان على النظر إلى أبعاد أخرى، ويرى مشكلاته بطريقة أخرى، فلا يقبع داخل المشكلة ويحاول حلها، ولا يجعل المشكلة هي التي تتحكم به وتسيطر عليه، وإنما يستطيع بوعيه الفلسفي أن يحكم الأمر ويعالجه، ويتحكم في مشكلاته الحياتية من جميع جوانبها.

مشكلة البحث:

لعلَّ مشكلة البحث الأساسية تكمن في الإجابة عن سؤال رئيسي وهو:

- هل الفلسفة لها علاقة بحياة الإنسان ومشكلاته؟ وهل يستطيع الإنسان أن يعالج تلك المشكلات مستعينًا بالفلسفة وطرق البحث والنظر الفلسفي؟

ومن أجل الإجابة عن هذا السؤال، كان لابد أن نبدأ بالإجابة عن عدة أسئلة تفصيلية أخرى، منها: ما علاقة الفلسفة بالفرد؟ ما علاقتها بالمجتمع؟ وما علاقتها بالوجود بأكمله؟ وهل لها علاقتها ببناء الوعي والحضارة الإنسانية؟ وهل لها علاقة بالدين؟ وماذا عن علاقتها بالجوانب السياسية والاقتصادية؟ وبعد الإجابة عن هذه الأسئلة يتقرر لدينا نتيجة حتمية للإجابة عن السؤال الرئيسي الذي يعد مشكلة البحث الأساسية.

منهجه:

اعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي في عرض المشكلة وتوصيفها من جميع جوانبها المختلفة، كما اعتمدت على المنهج المقارن لبحث الفروق بين الفلسفة وغيرها من الجوانب الأخرى التي سبقت الإشارة إليها كالدين والعلم والسياسة والاقتصاد ...إلخ.

مخططه:

جاء هذا البحث في مقدمة وسبعة مباحث وخاتمة:

أما المقدمة، فقد بينت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومشكلة البحث، ومنهجه، ومخططه، وقد جاء المخطط على النحو التالي:

المبحث الأول: العلاقة بين الفلسفة والجانب الوجودي.

المبحث الثاني: العلاقة بين الفلسفة والجانب الفردي في حياة الإنسان.

المبحث الثالث: العلاقة بين الفلسفة والجانب الاجتماعي.

المبحث الرابع: العلاقة بين الفلسفة والدين.

المبحث الخامس: العلاقة بين الفلسفة والعلم والحضارة الإنسانية.

المبحث السادس: العلاقة بين الفلسفة والجانب السياسي.

المبحث السابع: العلاقة بين الفلسفة والجانب الاقتصادي.

أما الخاتمة، فأشرت فيها لما انتهيت إليه من نتائج وتوصيات.

المبحث الأول: (الفلسفة والجانب الوجودي):

لقد حاول الإنسان عن طريق الفلسفة أن يتعقل ذاته ويفهم أسرار الوجود المحيط به، ويزيل الغموض الكامن في صميم علاقة هذا الإنسان بالوجود، وسواء كان هذا الوجود وجودًا متعاليا على الإنسان، أم كان وجودًا ماديًّا ضاغطًا بغرابته كالطبيعة وأسرارها والكون وأصله وحركته ونهايته، أم كان أخيرًا وجود الإنسان نفسه في العالم والأسئلة التي واجهته على امتداد التاريخ البشري، وفعل وانفعال الإنسان في هذا الوجود، فالإنسان هو الكائن الحي الوحيد الذي يبحث عن ذاته باستمرار لكي يصل في نهاية المطاف إلى تحديد موقعه في هذا الوجود، أي إلى بناء هويته في دائرة الوجود[١]، ولذا يرى بعض الفلاسفة أنَّ الفلسفة تعطينا حلا عمليًّا متينًا لمشكلة المصير الإنساني، ويرون أن الفلسفة تشبع حاجة إنسانية مزدوجة: حاجة إلى التنظيم المنهجي والتسلسل العقلي، تمليها علينا الرغبة في تكوين نظرة شاملة استيعابية إلى الوجود، وحاجة إلى تحديد مكانة الموجود المفكر والكشف عن سر وجوده في الكون، تمليها علينا الرغبة في إزاحة النقاب عن أحجية المصير البشري، والعمل على تحقيق النجاة أو الخلاص له في هذه الحياة الدنيا[٢]، كما يرون بأن الوظيفة الأساسية للفيلسوف هي أن يحل مشكلة المصير البشري، فلم تعد الفلسفة تحلق في سماء المجردات وإنما أصبحت تُعنى بحل مشكلات الإنسانية، وتهتم بإلقاء الأضواء على مواقف كائنات مشخصة من لحم ودم[٣]، ولعلَّ من الفلاسفة – وهم فلاسفة الوجود– من يرى أنَّ فعل التفلسف معانق لفعل الوجود نفسه، فلا يرون أنَّ الإنسان يحيا أولا لكي يتفلسف ثانيًا، وإنما جعلوا الفلسفة ملازمة للحياة، معانقة للوجود...إلخ[٤].

---

[١] الفلسفة والإنسان (جدلية العلاقة بين الفكر والوجود)، د/ علي الشامي، دار الإنسانية للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩١م، صـ١٣.

[٢] مشكلات فلسفية (مشكلة الفلسفة)، د/ زكريا إبراهيم، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت، صـ٤٧.

[٣] مشكلات فلسفية (مشكلة الفلسفة)، د/ زكريا إبراهيم، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت، صـ٣٩.

[٤] مشكلات فلسفية (مشكلة الفلسفة)، د/ زكريا إبراهيم، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت، صـ٤٢.

ولذا يقول ديكارت: أنَّ ما مُنِحَه الإنسان من قوة الفكر العجيبة – التي بها يستطيع أن يبحث في ماهية نفسه – يؤهله للنظر فيما هو الغرض من وجوده، ووضع قوانين وقواعد لسلوكه وأعماله، وعدّ بعضها حسنًا والآخر قبيحًا، ولابد له من إعمال الفكر لمعرفة تلك القواعد...إلخ[١].

فالفلسفة هي فعل إنساني يخترق بواسطته الإنسان أسرار العالم والطبيعة تمامًا كما يغوص بواسطته إلى أعماق ذاته ليعيد من جديد فهم العالم وإدراك ظواهر الطبيعة وتجاوز ذاته باستمرار، وبناء عليه فإن هوية الفلسفة تبقى غامضة عندما تحاول أن تأتي بالإنسان إلى عالم الفلسفة، وتظهر واضحة عنما تأتي هي نفسها إلى عالم الإنسان، إلى وجوده الخاص والعام، ذلك أن هوية الفلسفة كانت تتجلَّى باستمرار في ذلك البحث الدائم عن معنى الوجود...ويمكننا أن نلامس هوية الفلسفة عندما نعتبر أن موضوع الفلسفة الأساسي هو الوجود الإنساني[٢]، بل إن "الفلسفة – كما يرى بعض الباحثين– تمثل الطموح الأعلى للإنسان، ألا وهو الإحاطة بالكل من جهة، والوصول إلى حقيقته وجوهره، مقابل المظاهر الخادعة بأنواعها، وهذا بوضع اليد على على مبادئ الكل والوجود الأولي، والمبدأ بمعنى ما، يحوي بذرة الكل وحقيقته الأصلية والأولية[٣].

ولم تشغل فلسفة الوجود عقل فلاسفة الغرب وحدهم، وإنما شغلت عقول الفلاسفة والمتكلمين المسلمين أيضًا، وقد تباينت آراء الفلاسفة المسلمين وغير المسلمين في وجود العالم، فمنهم من ذهب إلى قدم المادة ومن ثم إلى قدم العالم، ومنهم من ذهب

---

[١] مبادئ الفلسفة، ا.س.رابوبرت، ترجمة: د/ أحمد أمين، القاهرة، ط٥، ١٩٤٩م، صـ٦٣.

[٢] الفلسفة والإنسان (جدلية العلاقة بين الفكر والوجود)، د/ علي الشامي، مرجع سابق، صـ١٣.

[٣] انظر: ما الفلسفة، د/ عزت قرني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ٢٠١٨م، صـ ٢٦.

إلى القول بحدوث العالم، ومنهم من توقف في هذه المسألة كما فعل جالينوس ليس لقصورفيه، بل لاستعصاء هذه المسألة في نفسها على العقول[١].

كما تعددت النظريات المفسرة لوجود العالم قديمًا وحديثًا، كنظرية الفيض قديمًا، ونظرية الانفجار العظيم حديثًا، بالإضافة إلى العديد من النظريات الأخرى التي نشأت مع تقدم علوم الفيزياء والتي تحاول تفسير نشأة الكون أو نهايته، وبعضها يتوافق مع الرؤية الإسلامية وبعضها يتنافى معها.

كما شغلت مشكلة العلاقة بين الوجود والماهية الفلاسفة منذ العصر اليوناني، واختلفوا في أسبقية أحدهما على الآخر، فمنهم من رأى أن الوجود يسبق الماهية، ومنهم من رأى أن الماهية تسبق الوجود، غير أن الوجوديين قالوا إن الإنسان هو الوحيد الذي يسبق وجوده ماهيته، حيث أنه يحدد ماهيته تدريجيًّا وهو يختار أفعاله وتظل ماهيته مفتوحة حتى يموت[٢].

ولست هنا بصدد مناقشة الأقوال في مسألة الوجود، ونظرياتها، أو مناقشة العلاقة بين الوجود والماهية، وإنما أردت الإشارة فحسب إلى أهمية مبحث الوجود في الفكر الفلسفي قديمًا وحديثًا.

---

[١] انظر: تهافت الفلاسفة، أبو حامد الغزالي، تحقيق: د/ سليمان دنيا، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط٢، ٢٠١٩م، صـ٨٨، ٨٩، وانظر: تهافت التهافت، ابن رشد، تحقيق: د/ سليمان دنيا، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط٢، ٢٠١٩م، صـ٥٩ وما بعدها.

[٢] انظر: الموسوعة الفلسفية، د/ عبد المنعم الحفني، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، ١٩٩٢م، صـ٥٢٥.

المبحث الثاني: (الفلسفة والجانب الفردي):

حياتنا اليومية (كأفراد) مليئة بالمشكلات والتحديَّات، لكنَّ كثيرًا من تلك المشكلات قد صنعناها نحن بأنفسنا بسبب طريقة تفكيرنا التي تخلق المشكلة ولا تحلها، وتزيد الأمر صعوبة ولا تيسره، لكنَّ كثيرًا منَّا لا يفكر في هذه المشكلات الحياتية بطريقة عقلانية صحيحة، ولو أنه كان دارسًا وممارسًا للفلسفة لأدى ذلك إلى تنمية مهاراته العقلية، كما أدى إلى تنمية وتعزيز السلوك الإنساني المنظم في الحياة الفكرية والنفسية والدراسية والاجتماعية للفرد، كما أنها ستسمح له بالتعبير الدقيق عن شعوره بطريقة صحيحة، وصياغة الأدلة والبراهين، والفهم والتعبير والاستدلال الصحيح، والتحليل والتركيب والتصنيف والتنظيم والتعليل، والقدرة على النقد وإصدار الأحكام واتخاذ المواقف، وتمنحه القدرة على مواجهة المشكلات[١]، وإدراة شئون حياته بشكل أفضل، فمثلا قد يواجه الإنسان شعورًا بالفشل أو الإحباط أو تأنيب الضمير، وقد يواجه مشكلات نفسية نتيجة هذه المشكلات أو نتيجة عوامل أخرى كالألم والطلاق والبطالة والضعف والفقر، وعلى سبيل المثال: "لماذا أشعر بالأسى والغضب عندما أتألم؟ لعلي أتصور الألم كأنَّه نوع من الظلم والاعتداء، أو أنه يحتمل شيئًا ليس عادلا، وليس طبيعيًّا وليس منصفًا، ولكن بعد التأمل سأكتشف أن الغضب مجرد رد فعل انفعالي يضرب بجذوره في أعماق اللاوعي الجمعي عندما كان الإنسان البدائي يرى الألم لعنة من الآلهة أو السحرة أو الأرواح الشريرة، وبهذا النحو من الإدراك العقلاني الهادئ يمكنني أن أتحرر من سطوة بعض الانفعالات السلبية البدائية من قبيل الغضب والخوف والكراهية وغير ذلك، ولن يختفي الألم بالضرورة لكن ستتحسن قدرتي على التحمُّل، بل قد أجعل الألم فرصة للإبداع بدلا من الغضب والشكوى والإحباط" [٢].

---

[١] انظر: مقالة/ دور الفلسفة وأهميتها في حياة الإنسان، د/ جيلالي بوبكر، موقع فليوبريس (الفلسفة للجميع).

[٢] التداوي بالفلسفة، سعيد ناشد، دار التنوير للطباعة والنشر، تونس، ط١، ٢٠١٨م، صـ٢٧.

فإذا كانت الفلسفة تساعدنا على تغيير نظرتنا إلى الحياة فهي قد تساعدنا أيضًا على تحسين قدرتنا على العيش، فنحن عندما نولد نصبح بالطبع في الحياة، لكننا لسنا بالضرورة قادرين على الحياة، بل نحتاج إلى ما يساعدنا على اكتساب القدرة على الحياة[١].

ونظرة لهذا التلازم بين حياة الفرد والتفكير الفلسفي فقد وجدنا تعريفات للفلسفة بأنها هي الحياة، فالفلسفة بمعناها العام إنما هي حياة، ونقد للحياة، أو حياة وتحليل للحياة، أو حياة وتعلم للطريقة المثلى في الحياة[٢].

ولهذا يقول ديكارت: فـ "بالنسبة إلى الأفراد، ليس فقط من النافع لكل إنسان أن يخالط من يفرغون لهذه الدراسة– الفلسفة– بل إن الأفضل له قطعًا أن يوجه انتباهه إليها وأن يشتغل بها، كما أن استعمال المرء عينيه لهداية خطواته، واستمتاعه عن هذا الطريق بجمال اللون والضوء أفضل بلا ريب من أن يسير مغمض العينين مسترشدًا بشخص آخر، لكن هذه الحالة الأخيرة أفضل من أن يظل مغمض العينين وليس له من مرشد إلا نفسه، ولأن يحيا المرء دون تفلسف هو حقًّا كمن يظل عينيه لا يحاول أن يفتحهما، والتلذذ برؤية كل ما يستكشفه البصر لا يمكن يقارن بالرضا الذي ينال من معرفة الأشياء التي تتكشف لنا بالفلسفة"[٣].

فلا شكَّ إذن أن نظرة الفرد (الدارس للفلسفة) لحياته ومشكلاته ومجتمعه ومستقبله تختلف اختلافًا كُلِّيًّا عن نظرة الفرد (غير الدارس لها)، أو أنها ينبغي أن تكون مختلفة، فإذا لم تكن كذلك فهذا يشير إلى ذلك القصور أو التناقض بين الدراسة والواقع العملي المعاش.

---

[١] التداوي بالفلسفة، سعيد ناشد، صـ٢٧.

[٢] مشكلات فلسفية (مشكلة الفلسفة)، د/ زكريا إبراهيم، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت، صـ٤٦.

[٣] ديكارت، مبادئ الفلسفة، ترجمة الدكتور عثمان أمين، القاهرة، ١٩٧٥م، ص٣١.

المبحث الثالث: (الفلسفة والجانب الاجتماعي):

ليست الفلسفة تعبيرًا فرديًّا فحسب تجاه قضية أو مشكلة ما، وإنما يحاول الفيلسوف أن يعبر عن قضايا مجتمعه بما يراه مناسبًا وملائمًا لكل أفراد مجتمعه، وليس لنفسه فحسب، بل إن الفيلسوف ليزعم لنفسه أنه ينطق بلسان الإنسانية قاطبة، وليس مجتمعه فحسب، وهو لهذا كثيرًا ما يعتقد أنه قد استطاع أن يعبر عن الحقيقة المطلقة، ويُحْكى في هذا الصدد أنَّ حريقًا شَبَّ في منزل الفيلسوف الألماني المعاصر هوسرل فالتهمت النيران عددًا غير قليل من مخطوطات الفيلسوف، وجاء بعض أصدقائه المقربين إليه يعزونه في هذه الخسارة الفادحة، فما كان منه سوى أن أجابهم بقوله: إن شيئًا لم يضع، إنَّها الحقيقة، والحقيقة لا بد دائما من أن تنكشف في خاتمة المطاف، وهذه العبارة إن دلَّت على شيء فإنما تدلُّ على أن الفيلسوف يميل بطبعه إلى إغفال الجانب الفردي التاريخي من تفكيره، لكي يخلع على آرائه قيمة نهائية مطلقة، وكأنَّما هي الحكم الأخير الذي لا يقبل نقضًا ولا إبرامًا[١]، وكأنَّه بذلك ينطق بلسان الناس أجمعين.

ولا شكَّ أنَّ دراسة الفلسفة تزود المجتمع بأصول ومبادئ وغايات النظام الاجتماعي، وتساعده في التنشئة الاجتماعية الصحيحة، وتنمي قيم التكافل والتعاون بين أفراد المجتمع، كما تقوي أخلاقيات التسامح والتراحم، وتجعل الإنسان قادرًا على استيعاب الاختلاف والتفاوت بين الناس، فيقبل الآخر – على اختلافه – ولا يطالبه بأن يكون نسخة مشابهة له، مما يؤدي إلى تقليل الصراعات والنزاعات التي تسود غالبًا في طيَّات المجتمع الواحد، كما تُحِدُّ دراسة الفلسفة من العنصرية والطبقية وتزيل الحدود والفواصل بين أفراد المجتمع، وتعمل على توعية الفرد بحقوقه وواجباته أمام مجتمعه، فيعي كل فرد دوره داخل المجتمع ويقوم بتأديته بشكل صحيح، مما يؤدي نهوض المجتمع أخلاقيًّا وثقافيًّا وحضَاريًّا.

---

[١] مشكلات فلسفية (مشكلة الفلسفة)، د/ زكريا إبراهيم، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت، صـ٩.

ولعل بعض الفلاسفة قد ركزوا على هذا الجانب الاجتماعي في فلسفتهم إيمانًا منهم بأنَّ الفلسفة لها دور كبير في إصلاح المجتمع وحل مشكلاته، ومن هؤلاء الفلاسفة الذين ركزوا على الجانب الاجتماعي في حياة الإنسان: كونفوشيوس، الذي يرى أن الفرد إذا ما تم تعليمه وتربيته أخلاقيًّا فإنه ينقل ذلك إلى أسرته، والأسرة إلى المجتمع، والمجتمع إلى الإنسانية كلها، وهو يحدد عشرة فضائل لاتخاذها أساسًا لعلاقات الأفراد:

- عطف الوالد على أولاده.
- احترام الابن لأبيه.
- معاملة الأخ الأكبر لأخيه الأصغر باللين.
- خضوع الأخ الأصغر للأكبر، مه احترامه له.
- تحلي الزوج بحسن الخلق.
- طاعة الزوجة لزوجها.
- حسن معاملة الكبار للصغار.
- طاعة الصغار للكبار.
- حسن معاملة الحاكم لرعاياه، وعطفه عليهم.
- إخلاص الوزراء والولاة في أداء مهامهم[١].

والمتأمل في هذه الفضائل العشرة يجد أنها جميعًا تخدم هذا الجانب الاجتماعي، وتؤكد تلك العلاقة الوثيقة بين الفلسفة والجانب الاجتماعي.

وهناك نموذج آخر نريد أن نركز عليه، وهو برتراند رسل الذي اهتم بالفلسفة الاجتماعية اهتمامًا كبيرًا، وحاول أن يكون مصلحًا لأفكار المجتمع، وأخذ يصب على أعظم رجال السياسة في بلاده سيلا من من النقاش والتعليق أدى به إلى الطرد من

---

[١] مدخل لدراسة الفلسفة والأخلاق، د/ عبد الراضي عبد المحسن، د/ حامد طاهر، مطبعة كلية دار العلوم، القاهرة، ط١، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، صـ٣١، ٣٢.

كرسيه في الجامعة ووجد نفسه – على الرغم من عراقة محتده، وكريم أصله، ونبل عائلته – طريدًا منبوذا من المجتمع، وأنكره الناس واعتبروه خائنًا لوطنه[١]، كما انتقد التعصب العرقي، قائلا: لقد أدركت أنه ليس للجنس الأبيض تلك الأهمية التي كنت أعتقد، فلو أبادت أوربا وأمريكا نفسها في الحرب فإن هذا لا يعني فناء النوع البشري، أو انتهاء المدنية؛ إذ سيبقى بعد ذلك عدد كبير من الصينيين، والصين أعظم أمة رأيتها إطلاقًا من عدة وجوه، فهي ليست أعظمها من الوجهة العددية والثقافية فحسب، بل يبدو لي أنها أنها أعظمها من الوجهة العقلية...إلخ[٢].

ومثال ذلك أيضًا جان جاك روسو (ت ١٨٧٨) الذي عانى في طفولته ولم يتلق إلا تعليمًا بسيطًا في طفولته، لكنَّه علم نفسه بعد ذلك وخالط الفلاسفة والعلماء، وقد قامت فلسفته كلها على نقد الأوضاع الاجتماعية السيئة والمدنية الأوروبية بما تفرضه على الإنسان من حاجات وأهداف مزيفة تنسيه واجباته كإنسان وحاجاته الطبيعية، وتجعله ضحية تناقضاته الداخلية...كما رأى أن الأخلاق لا تتحقق إلا من خلال الاجتماع، والمجتمع الصالح هو الذي يهيء ظروف التربية ليعيش الطفل وفق طبيعته الخيرة، ثم لينمو إلى إنسان اجتماعي فاضل، ولذلك تتلازم الأخلاق مع السياسة، فلكي يكون الإنسان أخلاقيًّا ينبغي أن يكون اجتماعيًّا، ولكي يكون اجتماعي ينبغي أن يكون سياسيًّا، ولا يبلغ الإنسان نضج الشخصية إلا عندما يسهم مع الآخرين في النفع العام...إلخ[٣].

ولعل من هؤلاء الفلاسفة أيضًا جون لوك، وهيجل، وسيجموند فرويد، وغيرهم ممن اهتموا بدراسة سلوك الإنسان في المجتمع، وأثر الفلسفة والمنطق على تشكيل الوعي

---

[١] قصة الفلسفة، ول ديورانت، ترجمة الدكتور: فتح الله محمد المشعشع، مرجع سابق، صـ٧٤: ٧٦.

[٢] قصة الفلسفة، ول ديورانت، ترجمة الدكتور: فتح الله محمد المشعشع، مرجع سابق، صـ٣٦٢.

[٣] انظر: الموسوعة الفلسفية، د/ عبد المنعم الحفني، مرجع سابق، صـ٢١٦، ٢١٧.

ومواجهة مشكلات الإنسان داخل مجتمعه، ومحاولة الاستفادة من الفلسفة للنهوض بالمجتمع.

المبحث الرابع: (الفلسفة والدين):

إنَّ العلاقة بين الدين والفلسفة علاقة وثيقة، فبينهما وحدة في الموضوع حينًا، وتماثلا وتشابهًا في الغاية والمقصد حينًا آخر...والدين والفلسفة برغم منهجهما المتغاير – كانا يمثلان استجابة الإنسان الطبيعية لنزعتين فطريتين فيه، إحداهما: عقلية تجريدية، والأخرى صوفية عملية، واحدة تدعوه وتستثيره للسيطرة على العالم الخارجي وتسخيره لمنافعه المادية، والأخرى تدفعه صوب ذاته الباطنة، من أجل تنمية شعوره الإنساني وتطويره الداخلي[١]، ويرى بعض المفكرين أن الفلسفة أمر وسط بين الدين والعلم، فهي تقترب من مدلول الدين؛ من حيث أنها تأملات عقلية في قضايا لا نملك عنها حتى الآن معرفة محددة ودقيقة، وهي تقترب من العلم؛ من حيث إنها تخاطب العقل الإنساني وتستثيره[٢]...إلخ.

ولهذا أيضًا فإنَّ القضايا الكبرى للدين – كوجود الباري تعالى– والروح والخلود والبحث في المبدأ والمصير، ظلَّت ولقرون متلاحقة وطويلة بعد نشأة الفكر الفلسفي عنوانًا لمباحث الفلسفة التقليدية، ولم يخل منها تراث واحد من أكابر الفلاسفة العظام قديمًا وحاضرًا، إمَّا في صورة الاعتقاد بها والاستدلال على وجودها والبرهنة على صحتها، أو في صورة نفيها وإنكارها، ولعلَّ هذا التداخل في الموضوع هو ما حمل هايدجر وآخرين إلى القول بأن الفلسفة الغربية ظلَّت طوال تاريخها أنطو ثيولوجية تقوم على الخلط العجيب بين الدين والفلسفة [٣].

---

[١] المدخل إلى معاني الفلسفة، د/ عرفان عبد الحميد فتاح، دار الجيل، بيروت، ودار عمار، عمان، ط١، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م، صـ٢٠.

[٢] المدخل إلى معاني الفلسفة، د/ عرفان عبد الحميد فتاح، مرجع سابق، صـ١٩.

[٣] المدخل إلى معاني الفلسفة، د/ عرفان عبد الحميد فتاح، مرجع سابق، صـ ٢٠، ٢١.

فكل فيلسوف له فلسفته الدينية سواء قبلنا تلك الفلسفة أم لم نقبلها، وسواء أكان تلك الفلسفة ساذجة أو معقولة، ولذلك فإنَّ أرسطو يرى أن إلهه لا يخلق العالم بل يحركه، ولا يحرك العالم كقوة ميكانيكية ولكن كمحرك كلي لجميع عمليات العالم، يحرك العالم كما يحرك المحبوب المحب، وهو رغم أنه المحرك الأكبر فإنه هو نفسه لا يتحرك، وهو كائن معنوي لا مادي، غير مرئي، ولا مكان له، لا مذكر ولا مؤنث، ولا يتغير أو يتأثر، تام وأبدي، بل إن المتأمل لتصوره عن الإله يرى أن وظيفة الإله الوحيدة – كما يرى أرسطو– هي التفكير في ذاته فحسب[١]، ورغم هذا التفكير الساذج عن الإله، فإنه يبقى له فلسفته التي يناقش بها مسائل الدين وأمور الغيب.

وقد ألف ابن رشد كتابه (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال)، ليؤكد على هذه العلاقة بين الدين والفلسفة، فهو يقول: "وإذا كانت هذه الشريعة حقًّا وداعيةً إلى النظر المؤدي إلى معرفة الحق، فإنَّا معشر المسلمين نعلم على القطع أنَّه لا يؤدي النظر البرهاني إلى مخالفة ما ورد به الشرع، فإن الحق لا يضاد الحق، بل يوافقه ويشهد له" [٢].

ومع ذلك فإنَّا نسارع إلى القول بوجود أوجه خلاف جوهريَّة بين الدين والفلسفة، خاصَّة الأديان السَّماوية المنزلة، وعلى وجه التخصيص تلك التي حافظت على نقاوتها، ولم تصبها الأهواء الإنسانية بالتحريف والتبديل والتغيُّر[٣].

"إنَّ الدين صنعة إلهية، والفلسفة عمل إنساني"[٤]، ومن ثمَّ فالدِّينُ في نظر المؤمنين به: كمال مطلق، له كل ما للإلهيات من ثبات الحق الذي لا تبديل لكلماته، وصرامة

---

[١] قصة الفلسفة، ول ديورانت، ترجمة الدكتور: فتح الله محمد المشعشع، مرجع سابق، صـ٧٤: ٧٦.

[٢] فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، ابن رشد، تحقيق: د/ محمد عمارة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط١، ٢٠١٧م، صـ٣١، ٣٢.

[٣] المدخل إلى معاني الفلسفة، د/ عرفان عبد الحميد فتاح، مرجع سابق، صـ ٢٠، ٢١.

[٤] الدين (بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان)، د/ محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، ١٩٥٢م، صـ٧٣.

الصدق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أما الفلسفة ففي كل صورِها ومذاهبها يتحكم فيها ما بطبيعة الإنسان من قيود وحدود وقابلية للتغير والتحوُّل، واقتراب أو ابتعاد عن الحق والكمال، ولهذا كان التعارض والتخالف أو التفاوت بين المذاهب الفلسفية؛ لأنَّ كل واحد منها لا يمثل الحقيقة المطلقة، بل هي في مجموعها فروض وتقديرات وآرَاء واجتهادات تدور كلها في فلك الإمكان والاحتمال.

ومن هنا صار التسامح العقلي والإخاء الفكري والتواصل المذهبي من لوازم الموقف الفلسفي وضروراته، وهذا ما ميَّزَ الفكر الفلسفي منذ نشأته، ولهذا ورد على لسان أرسطو قوله: "(أفلاطون صديق) و(الحق صديق)، ولكن الحق أصدق منه"[١]، وقد استدل الغزالي من هذه الرواية على أنَّ الفلاسفة يحكمون بظنٍّ وتخمين من غير تحقيق ويقين، وهو يقصد بذلك ما ذكره الفلاسفة في باب الإلهيات أو السمعيات من علوم الغيب[٢].

لكنَّ هذه الخلافات التي تبدو لنا بين الدين والفلسفة لا تؤدي إلى وقوع تناقض بينهما، فلا يمكننا مثلا أن نتفق مع القائلين بأنَّ الفلسفة تؤدي إلى الإلحاد، بل "إنَّ الإلحاد يمنع التفلسف، وإنما نريد أن نقول إن في الإمكان أن نجمع بين الإذعان لمنطق العقل والإيمان العميق بوحي الدين، بل في وسع الإنسان أن يكون فيلسوفًا مبدعًا مع وفائه لعقيدته الدينية وإيمانه بوحيها...كما هو الحال لدى كبار المدرسيين في أوربا وعلماء الكلام في الإسلام، فإنَّ في مثل هؤلاء يكتمل الجمع بين التفلسف الصادق والتدين العميق"[٣].

---

[١] انظر: تهافت الفلاسفة، الغزالي، تحقيق: د/ سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، ط٤، ١٩٦٦م، صـ٧٦، والمدخل إلى معاني الفلسفة، د/ عرفان عبد الحميد فتاح، مرجع سابق، صـ٢١.

[٢] انظر: تهافت الفلاسفة، الغزالي، تحقيق: د/ سليمان دنيا، مرجع سابق، صـ٧٦.

[٣] انظر: قصة النزاع بين الدين والفلسفة، د/ توفيق الطويل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠٢٢م، صـ١٠.

المبحث الخامس: (الفلسفة والعلم أو الحضارة الانسانية):

ارتبطت العلوم المختلفة بالفلسفة ارتباط الأبناء بالأم، ولم يكن هناك تمييزًا واضحًا بين ما نسميه علمًا وما نقول عنه فلسفة؛ إذ لم تكن هناك فوارق بين العلوم التي تقوم على الملاحظة والتجربة وتلك التي تستند إلى النظر العقلي المجرد، ولم تُعْرَف التفرقة بين العلم والفلسفة بالمدلول الحديث لهذين المصطلحين إلا تدريجيًّا...[١].

كما ترتبط الفلسفة ببناء الحضارة الإنسانية ارتباطًا وثيقًا، فالعقل الإنساني هو المسئول عن منجزات هذه الحضارة الإنسانية، وهو الذي أخضع قوى الطبيعة ووضعها في خدمة البشرية، وتوصَّل بالتدرج إلى معرفة العالم المحيط به، ولم يعد على ما كان عليه من الضعف في مجابهته للطبيعة، فاخترع الأدوات، وتغلغل في أعماق الكون يعرف أسراره، وخلق قيمًا مادية وروحية مدهشة، ومن الواضح أنه مهما بلغ التطور التقني شأنه فإن الإنسان يبقى القوة المنتجة الرئيسية للمجتمع، فأدوات العمل والآلات ليست سوى جزء من القوى المنتجة، وأهم منها بكثيرهم البشر واكتشافاتهم ووعيهم؛ إذ تستحيل قيام تلك الوسائل وغيرها من الأدوات بوظائفها دون العنصر الإنساني الذي يبعث الحياة، أما دونه فتبقى كل هذه الوسائل والأدوات موادًا جامدة[٢].

ولذلك فإن ديكارت يربط بين الفلسفة والحضارة الإنسانية قائلا: إن الفلسفة وحدها هي التي تميزنا من الأقوام المتوحشين والهمجيين، وإنما تُقَاسُ حضارة الأمَّة وثقافتها بمقدار شيوع التفلسف الصَّحيح فيها، ولذلك فإنَّ أجل نعمة ينعم الله بها على بلد من البلاد هي أن يمنحه فلاسفة حقيقيين[٣].

---

[١] انظر: ما هي الفلسفة، د/ حسين علي، دار التنوير، بيروت، ط١، ٢٠١١م، صـ٤٨.

[٢] الفلسفة والإنسان (جدلية العلاقة بين الإنسان والحضارة)، د/ فيصل عباس، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، صـ١٢.

[٣] ديكارت، مبادئ الفلسفة، ترجمة الدكتور عثمان أمين، القاهرة، ١٩٧٥م، صـ30.

المبحث السادس: (الفلسفة والجانب السياسي):

لقد اهتم الفلاسفة بالسياسة المدنية اهتمامًا كبيرًا بما يلقي الضوء على العلاقة الوثيقة بين الفلسفة والجانب السياسي، ولعلَّ أول ما يتبادر إلى الذهن هنا أن نشير إلى فكرة الرئيس الفيلسوف الذي أشار إليه الفلاسفة قديمًا كأفلاطون في (الجمهورية)، أو الفارابي في (المدينة الفاضلة)، فقد ذهب أفلاطون – حين أورد الكلام على لسان سقراط في كتاب (الجمهورية)– إلى أنَّ الفلاسفة هم الذين يجب أن يحكموا الدولة، وأما الآخرون الذين لم يولدوا ليكونوا فلاسفة هم معنيُّون أن يكونوا رفاقًا بدلا من أن يكونوا القادة[١]، ولذلك يرى أنه "ليس هناك مدينة شقية أكثر من تلك التي يحكمها مستبد، ولا واحدة أسعد من تلك التي يحكمها ملك فيلسوف"[٢]، والمتأمل أيضًا لجمهورية أفلاطون يرى أنَّه قد ركَّز على فكرة الشيوعية، تلك الفكرة التي انتقدها أرسطو من بعده، فقد كان محافظًا يضفي أهمية وتقديرًا على صفات العزلة والانفراد والحرية، ويضعها فوق المقدرة الاجتماعية والسلطة، ولا يحرص على مناداة كل كعاصر بأخ أو أخت، ولا كل مسنٍّ بأب أو أم، وإذا كان الجميع إخوتك فلا إخوة لك، أليس من الأفضل أن تكون خالًا أو عمًّا حقيقيًّا للبعض على أن تكون أبًا على طريقة أفلاطون؟ وفي الدولة التي يشترك فيها النساء والأطفال يكون الحبُّ مائعًا، إن امتلاكك للشيء يبعث في نفسك حبه والاهتمام به، ويوقظ الحب الحقيقي في نفسك، وهذا مستجيل في دولة كدولة أفلاطون[٣].

---

[١] المحاورات الكاملة (الجمهورية)، أفلاطون، ترجمة: شوقي داود تمراز، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، صـ٢٦٣.

[٢] المحاورات الكاملة (الجمهورية)، أفلاطون، مرجع سابق، صـ٤١٦.

[٣] قصة الفلسفة، ول ديورانت، ترجمة الدكتور: فتح الله محمد المشعشع، مرجع سابق، صـ٦٥.

كما اهتم الفارابي بالسياسة في كتبه (السياسة المدنية)، و (آراء أهل المدينة الفاضلة)، ولعل هذا الكتاب الأخير كان يحاكي فيه أفلاطون في جمهوريته، ورأى فيه أنَّ رئيس المدينة يجب أن تجتمع فيه بالطبع اثنتا عشرة خصلة قد فُطِر عليها، منها أن يكون جيد الفهم والتصور، وجيد الفطنة، ذكيًّا، محبًّا للتعليم، وهذه كلها صفات الفيلسوف الذي يعنيه الفارابي، ثم لما تكلم عن الذي يخلف ذلك الرئيس أشار إلى ست شرائط أخرى تتوفر فيه عند كبره – إضافة إلى الشرائط السابقة التي ينبغي أن تكون فيه بالطبع– أولُّها أن يكون حكيمًا[١]، فالرئيس إذن لا بد أن يكون فيلسوفًا حتى يكون ناضج العقل قادرًا على إدارة شئون بلده.

والمتأمل لتاريخ الفلاسفة يجد ارتباطًا وثيقًا بين الفلسفة والجانب السياسي، فمن ذلك، سبينوزا: الذي وضع فلسفة سياسية عبرت عن آمال الأحرار والديمقراطيين في هولندا في ذلك الوقت، وأصبحت إحدى المنابع الأساسية لجدول الأفكار التي بلغت أوجها في روسو والثورة الفرنسية... ويعتقد سبينوزا أن الفلسفة السياسية تنبع من التمييز بين النظام الطبيعي والأخلاقي أو بعبارة أوضح بين حياة الإنسان البدائية قبل تنظيم المجتمعات وبين حياته بعد تنظيم المجتمعات، وهو يرى أن الناس كانوا يعيشون قبل نشأة المجتمع في فوضى بغير قانون أو تنظيم اجتماعي، ولم يكن لديهم مفهوم عن الصواب والخطأ أو العدل والظلم، وكانت القوة عندهم هي الحق[٢].

ومن هؤلاء الفلاسفة أيضًا هيجل الذي يصفه ول ديورانت بأنه أظهر روحًا ثائرة في السياسة ...ودافع دفاعًا مجيدًا بالاشتراك مع شلنج عن الثورة الفرنسية، واتَّجه ذات

---

[١] انظر: آراء أهل المدينة الفاضلة، الفارابي، تقديم وتعليق: د/ ألبير نصري نادر، دار المشرق، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م، صـ١٢٩، وانظر: في الفلسفة الإسلامية (منهج وتطبيقه)، د/ إبراهيم مدكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠١٦م، صـ٧١.

[٢] قصة الفلسفة، ول ديورانت، ترجمة الدكتور: فتح الله محمد المشعشع، مرجع سابق، صـ١٤٦.

صباح ليغرس شجرة الحرية في سوق المدينة [١]، ويرى هيجل أنَّ المجتمع هو الذي يهذب الإنسان، فالإنسان يبدأ أنانيًّا ثم يهذب المجتمع أنانيته بالحق والواجب، ويتوسط المجتمع الأسرة والدولة، وتنظم الأسرة الجنس والزواج، وعليها يقوم المجتمع[٢]، ومنهم هولباخ الذي يرى أنَّ الدولة وظيفتها أخلاقية حيث عملها الأول تربية الفرد تربية اجتماعية تعاونية، ودعا إلى حكومة تجمع بين حكم الشعب والاستبداد، وإلى نظام لا يقوم على الإقطاع، ويحدد الملكية، ويجعل بها وظيفة اجتماعية، وإلى فرض ضرائب تصاعدية، وفصل الدين عن الدولة[٣]..إلخ، وعلى الرغم من أن بعض هذه المطالب لا تبدو صحيحة بالنسبة لنا – كفصل الدين عن الدولة– إلا أنها قد تبدو منطقية بالنسبة للمجتمع الغربي بعد الصراع والنزاع الذي حدث بين العلم والكنيسة في أوروبا.

---

[١] قصة الفلسفة، ول ديورانت، ترجمة الدكتور: فتح الله محمد المشعشع، مرجع سابق، صـ٢٣٠.

[٢] انظر: الموسوعة الفلسفية، د/ عبد المنعم الحفني، مرجع سابق، صـ٥١٣.

[٣] انظر: الموسوعة الفلسفية، د/ عبد المنعم الحفني، مرجع سابق، صـ٥١٠، ٥١١.

المبحث السابع: (الفلسفة والجانب الاقتصادي):

إذا كانت الفلسفة تعبر عن مشكلات الإنسان كما سبق أن ذكرنا فإنها لا شكَّ قد ناقشت ذلك الجانب الهام في حياة الإنسان، أ٠لا وهو الجانب الاقتصادي، فمشكلات الفقر والبطالة والعشوائية وقلة الأجور وقلة الموارد، وغيرها من تلك المشكلات الاقتصادية، تحتاج إلى عقل متفلسف لكي يبحث في الحلول المناسبة للتخلص من هذه المشكلات، ولذلك وجدنا كثيرًا من الفلاسفة الذين اتخذوا من الفلسفة أداة لدراسة الاقتصاد ومناقشة قضاياه، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر: آدم سميث الذي توفي عام ١٩٧٠م، وكان فيلسوفًا ومن كبار المفكرين في الاقتصاد السياسي، ومن خلال أفكاره بُنيت نظريات اقتصادية كثيرة، كنظرية اقتصاد السوق الحر، كما أُطلق عليه بأنه أبو الرأسمالية[١]، ومن هؤلاء الفلاسفة أيضًا الفيلسوف جون ستيورات مل على سبيل المثال الذي توفي عام ١٨٧٣م، وعاش يناضل من أجل تحسين الحياة الاقتصادية للعمال الكادحين في عصره، وعمل على إبطال قانون الغلال الذي أضرَّ بمصالح العمال ونشر الفاقة وأشاع البؤس في حياتهم، ذلك القانون الذي يهبط بأجورهم ويقضى على رءوس الأموال الصغيرة ويعوق سير التجارة، وقد أُتيحت له الفرصة – بشكل أوسع– لِيناضل عن حقوق العمال عندما انتخب عضوًا في مجلس العموم عام ١٨٦٥م[٢].

ولم يكن جون ستيوارت مل وحده في طريق الإصلاح السياسي والاجتماعي، وإنما كان هناك رهط من رجال السياسة هم الراديكاليون الفلاسفة، وكان من زعمائهم (وليم

---

[١] راجع على سبيل المثال كتابه: ثروة الأمم، آدم سميث، ترجمة حسني زينة، معهد الدراسات الاستراتيجية، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.

[٢] انظر: جون ستيوارت مل، د/ توفيق الطويل، دار المعارف، مصر، ص٥٢.

كوبيت)، و(بلاس) وغيرهم ممن سعوا إلى المطالبة بالإصلاح الشامل الذي يحقق مطالب الشعب وآماله[١].

ومن هؤلاء أيضًا: جون مينارد كينز الذي توفي عام ١٩٤٦م، وهو فيلسوف اقتصادي إنجليزي، ساهمت أفكاره في التغيير الجذري لممارسات الاقتصاد الكلي، وأحدث ثورة في التفكير الاقتصادي في ذلك الوقت، ومن أهم أعماله كتاب: النظرية العامة للتوظيف والفائدة والنقد[٢].

ومنهم أيضًا فرنسيس بيكون الذي يقول عنه ول ديورانت أنَّه "بلغ قمة المجد السياسي والفلسفة" وانتخب عام ١٥٨٣م عضوًا في البرلمان وأعيد انتخابه مرة أخرى بعد ذلك[٣]، واسبينوزا الذي وضع فلسفة سياسية عبَّرت عن آمال الأحرار والديمقراطيين في هولندا في ذلك الوقت[٤].

---

(١) انظر: جون ستيوارت مل، د/ توفيق الطويل، دار المعارف، مصر، صـ٤٦.

(٢) راجع: النظرية العامة للتوظيف والفائدة والنقد، جون مينارد كينز، ترجمة: إلهام عيداروس، هيئة أبو ظبي للتراث والثقافة، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

(٣) قصة الفلسفة، ول ديورانت، ترجمة الدكتور: فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، مرجع سابق، صـ٨٨، ٩٠.

(٤) قصة الفلسفة، ول ديورانت، ترجمة الدكتور: فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، مرجع سابق، صـ١٤٦.

الخاتمة:

ناقشت في هذا البحث لتلك العلاقة بين الفلسفة وحياة الإنسان ومشكلاته، وقد توصلت من خلاله لمجموعة من النتائج، وهي على النحو التالي:

- أنَّ مبحث الوجود من أهم المباحث الفلسفية، ولذا فإنَّ الفلسفة– بلا شك– تُعِين الإنسان على اكتشاف أسرار الوجود، والمصير الإنساني.
- أنَّ ارتباط الفلسفة بحياة الفرد يجعلها أكثر استقرارًا وانسجامًا وفهمًا للحياة، ويجعل الإنسان قادرًا على مواجهة مشكلاته والتعامل معها بطريقة أفضل.
- أنَّ الفلسفة قادرة على تزويد المجتمع بأصول ومبادئ وغايات النظام الاجتماعي، كما تساعده على التنشئة الاجتماعية الصحيحة، وتنمي قيم التكافل والتعاون بين أفراد المجتمع، ولذلك يحرص الفيلسوف على التحدث بلسان مجتمعه والتعبير عن مشكلاته ومحاولة حلها.
- ترتبط الفلسفة بالدين ارتباطًا وثيقًا، فالقضايا الكبرى للدين – كوجود الباري تعالى– والروح والخلود والبحث في المبدأ والمصير، ظلَّت ولقرون متلاحقة وطويلة بعد نشأة الفكر الفلسفي عنوانًا لمباحث الفلسفة التقليدية، ولم يخل منها التراث الفلسفي إمَّا في صورة الاعتقاد بها والاستدلال على وجودها، أو في صورة نفيها وإنكارها.
- كما ترتبط الفلسفة ببناء الحضارة الإنسانية ارتباطًا وثيقًا، ذلك لأن العقل الإنساني هو المسئول عن منجزات هذه الحضارة الإنسانية، وهو الذي أخضع قوى الطبيعة ووضعها في خدمة البشرية، وتوصَّل بالتدرج إلى معرفة العالم المحيط به.
- أما الجانب السياسي، فقد رأينا أن كثيرًا من الفلاسفة قد جعلوا من الفلسفة أداة لخدمة أدوارهم السياسية التي حاولوا بها خدمة شعوبهم وحل مشكلاتهم.
- وكذلك الجانب الاقتصادي الذي لم يقل اهتمامًا عن الجانب السياسي، فقد شُغِل به الفلاسفة الاقتصاديون الذي كرسوا جهودهم وعلومهم الفلسفية لحل المشكلات الاقتصادية كالفقر والبطالة والتضخم وغيرها من المشكلات.

- ولا شكَّ أنَّ ارتباط كل هذه الجوانب بالفلسفة أدَّى إلى إثراء دور الفلسفة وتعميق صلتها بحياة الإنسان ومشكلاته.

المصادر والمراجع

- آراء أهل المدينة الفاضلة، الفارابي، تقديم وتعليق: د/ ألبير نصري نادر، دار المشرق، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.
- التداوي بالفلسفة، سعيد ناشد، دار التنوير للطباعة والنشر، تونس، ط١، ٢٠١٨م، صـ٢٧.
- تهافت التهافت، ابن رشد، تحقيق: د/ سليمان دنيا، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط٢، ٢٠١٩م.
- تهافت الفلاسفة، أبو حامد الغزالي، تحقيق: د/ سليمان دنيا، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط٢، ٢٠١٩م.
- ثروة الأمم، آدم سميث، ترجمة حسني زينة، معهد الدراسات الاستراتيجية، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.
- دور الفلسفة وأهميتها في حياة الإنسان، (مقالة) د/ جيلالي بوبكر، موقع فليوبريس (الفلسفة للجميع).
- الدين (بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان)، د/ محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، ١٩٥٢م.
- العيش بالتفلسف (التجربة الفلسفية، الرياضات الروحية وعلاجيات النفس)، جون غرايش، ترجمة: محمد شوقي الزين، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، المغرب، ٢٠١٩م.
- فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، ابن رشد، تحقيق: د/ محمد عمارة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط١، ٢٠١٧م.
- الفلسفة والإنسان (جدلية العلاقة بين الإنسان والحضارة)، د/ فيصل عباس، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

- الفلسفة والإنسان (جدلية العلاقة بين الفكر والوجود)، د/ علي الشامي، دار الإنسانية للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
- في الفلسفة الإسلامية (منهج وتطبيقه)، د/ إبراهيم مدكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠١٦م.
- قصة الفلسفة، ول ديورانت، ترجمة الدكتور: فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.
- قصة النزاع بين الدين والفلسفة، د/ توفيق الطويل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠٢٢م.
- لم الفلسفة، د/ عبد الغفار مكاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ٢٠١٦م.
- ما الفلسفة، د/ عزت قرني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ٢٠١٨م.
- ما هي الفلسفة، د/ حسين علي، دار التنوير، بيروت، ط١، ٢٠١١م.
- مبادئ الفلسفة، ا.س.رابوبرت، ترجمة: د/ أحمد أمين، القاهرة، ط٥، ١٩٤٩م.
- مبادئ الفلسفة، ديكارت، ترجمة الدكتور عثمان أمين، القاهرة، ١٩٧٥م.
- المحاورات الكاملة (الجمهورية)، أفلاطون، ترجمة: شوقي داود تمراز، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
- المدخل إلى معاني الفلسفة، د/ عرفان عبد الحميد فتاح، دار الجيل، بيروت، ودار عمار، عمان، ط١، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.
- مدخل لدراسة الفلسفة والأخلاق، د/ عبد الراضي عبد المحسن، د/ حامد طاهر، مطبعة كلية دار العلوم، القاهرة، ط١، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.
- مشكلات فلسفية (مشكلة الفلسفة)، د/ زكريا إبراهيم، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت.

- الموسوعة الفلسفية، د/ عبد المنعم الحفني، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، ١٩٩٢م.
- النظرية العامة للتوظيف والفائدة والنقد، جون مينارد كينز، ترجمة: إلهام عيداروس، هيئة أبو ظبي للتراث والثقافة، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.